Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol.33/ No.8/ 2025 المجلد ٣٣/ العدد ٨/ ٢٠٢٥

المخاطَب المُضمَر في ضوء التراث العربي ومناهج تحليل الخطاب

حيدر غضبان محسن
كلية الآداب/ جامعة بابل
Haider11291@gmail.com

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٦/٢١ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٥/٧/١٤ **تاريخ نشر البحث:** ٢٠٢٥ /٨/١٩

المستخلّص:

تتضمن العملية التواصلية بحسب النموذج المعياري للتواصل ثلاثة عناصر رئيسة هي: (المتكلم) و(الرسالة) و(المخاطَب)، حيث يحتوي عنصر الرسالة على (المعنى)، أما المتكلم فوظيفته إنتاج المعنى والقصد، وأما المخاطب فيقع على كاهله فهم المعنى أو تأويله والتوصّل إلى قصد المتكلّم.

وبحسب هذا القالب المعياري فقد يمارس المخاطب لعبة إخفاء المعنى الذي ينتجه، مما يؤدي إلى أن يتحول المعنى في الرسالة إلى ظاهري وضمني. ومما يدفع المخاطب إلى السعي إلى الكشف عن المعنى الضمني بمراعاة قوانين الخطاب.

وعلى هذا، يبقى المعنى والقصد همَّ الدراسات اللسانية الحديثة، من حيث إنتاجهما أو تلقيهما أو آليات تضمينهما. وقد ظهرت نظريات لسانية عديدة تبحث في هذه العناصر الرئيسة وما يحف بها من عناصر أخرى كالسياق والشفرة. وأثرها في تضمين المتكلم للمعاني والمقاصد، وقدرة المخاطب على تأويلها واستنتاجها. وقد ركزت تلك النظريات على قصد المتكلم أو أنواع المعاني من حيث الظاهر والضمني، أو تأويل المخاطب.

إلا أن ثمة ظاهرة اهتمت بها لسانيات التلفظ اهتماما بالغا لم نجدها في غيرها من نظريات تحليل الخطاب، وهي ظاهرة (المجاز التواصلي) أو(المخاطب المضمر)، التي أستطيع أن أسميها بـــ(التوجه بالخطاب) أو(أسلوب التوجه الخطابي)، وهي ظاهرة التفت إليها البلاغيون والأصوليون العرب القدماء، وضمّنوها ضمن مبحث بلاغي أسموه بـــ(التعريض). ومع هذا، لم يسلم العرب القدماء من السهو في تشخيص هذه الظاهرة، كما سنتبيّن، مما استدعى مناقشة آرائهم وتصويبها.

من هنا يحدد البحث مشكلته بالبحث عن (أسلوب التوجّه الخطابي) بتحديد مفهومه، وفرقه عن الأساليب التي ترتبط بالمعنى. ومنطلقنا في كل ذلك تحليل الاستعمالات بالاستعانة بما ذكره البلاغيون القدماء والمحققون من البلاغيين المحدثين، من جهة، وما ذكره علماء لسانيات التلفظ، من جهة أخرى.

أما خطة البحث فقد بُنيت على ثمانية محاور هي: أسلوب التعريض عند العرب مدخل تأسيسي لـــ(أسلوب التوجه الخطابي)، والتعريض في تحليل الخطاب، ومفهوم المجاز التواصلي، والمخاطَب المضمَر، وإستراتيجيات المجاز التواصلي وأغراضه، وخصائص المجاز التواصلي، ونتائج البحث، والتوصيات، ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

الكلمات الدالة: تحليل الخطاب، لسانيات التلفظ، المخاطب المضمر، أسلوب التوجّه، التعريض.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol.33/ No.8/ 2025 المجلد ٣٣ / العدد ٨/ ٢٠٢٥

The Implicit Addressee in the Arabic Legacy and the Discourse Analysis Approaches

Haydar Ghudban Muhsin
College of Arts/ University of Babylon

Abstract

According to the model of communication, the communicative process consists of three main elements: the speaker, the message, and the addressee. The message contains meaning, the speaker is the producer of the (intended) meaning, and the addressee is to understand and/or interpret the (intended) meaning.

In this model, the speaker may choose to explicitly or implicitly produce the meaning, which leads to the probability of having an explicit and/or implicit message. The addressee has to retrieve the implicit meaning by observing the context.

Thus, meaning and intention remain the concern of modern linguistic studies, in terms of their production, reception, and interpretation. Numerous linguistic theories have emerged to investigate these key elements along with the immediate context and code and the impact they have on the speaker's inclusion of meanings and intentions as well as the addressee's ability to interpret and infer them. These theories have focused on the speaker's intention and the types of meanings, in terms of the explicit and implicit, or the speaker's interpretation.

However, there is a spoken phenomenon to which many studies have paid great attention that we did not find in other theories of discourse analysis, which is the phenomenon of (communicative implicitness) or (implicit addressee), which I can call (discourse orientation) or (discourse orientation technique), a phenomenon that the ancient Arab rhetoricians and fundamentalists paid attention to, and included it within their rhetorical research called "implicitness". However, the ancient Arabs did not escape from misdiagnosing this phenomenon, necessitating the need to discuss and correct their opinions.

Hence, the research identifies its problem by investigating the method of rhetorical orientation and by defining its concept in addition to differentiating it from other methods that are related to meaning. Our starting point in all this is to analyse the uses of the ancient rhetoricians and what modern ones have checked, on one hand, and what modern linguists have stated, from the other hand.

Keywords: Discourse analysis, spoken language, implicit addressee, orientation technique, implicitness

١.أسلوب التعريض عند العرب مدخل تأسيسي لـــ(أسلوب التوجه الخطابي):

١.١. معنى التعريض لغة: التعريض مصدر الفعل (عَرّضَ)، وقد وردت لهذا اللفظ معانٍ عِدّة، نكتفي منها بما ينفعنا منها، وهو: "عَرَّضَ لي فلان تَعْرِيضاً إذا رحرح بالشيء ولم يبين. والمَعارِيضُ من الكلام: ما عُرِّضَ به ولم يصرّح. وأَعْراضُ الكلام ومَعارِضُه ومَعارِيضُه: كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني[...] والتّعْرِيضُ: خلاف التَّصريح"[١٨٣/٧:١].

وقد استشهدت المعاجم العربية بكلام العرب على ورود لفظ (التعريض) بمعنى خلاف التصريح. منه قول "عبد الله بن العباس: ما أحب بمَعارِيضِ الكلام حُمْرَ النَّعَم.[...] وفي المثل، وهو حديث مخرج عن عمران بن حصين، مرفوع: إن في المَعارِيضِ مندوحة عن الكذب أي سعة؛ المَعارِيضُ جمع مِعْراضٍ من التَّعرِيضِ. وفي حديث عمر، (رضي الله عنه): أمَا في المَعارِيض ما يغني المسلم عن الكذب؟"[١٨٣/٧:١].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يتبين من المعنى اللغوي أن معنى التعريض عام شامل لكل ما هو ضد التصريح، وأن له –بهذه الخصيصة– ميزتين، هما: الإخفاء والتكثير بسبب التوسّع الدلالي[٢:١٧]؛ أما الإخفاء فواضح، وأما التكثير فسببه تكثير المعاني أو المقاصد بإضافة المعنى الخفيّ إلى المعنى الصريح.

٢.١. التعريض اصطلاحا:

١,٢,١.مفهوم التعريض اصطلاحا:لا يتجاوز مفهوم التعريض في اصطلاح العلماء القدماء معناه اللغوي فهو لا يتعدى –في المفهوم الاصطلاحي– عن كونه ضدَّ التصريح.

وقد أسهب القدماء واختلفوا في تبيين مفهومه وفي أقسامه وفي الفن البلاغي الذي ينتمي إليه. ولكثرة الدراسات الحديثة التي تناولت التعريض عند القدماء بالدرس والتحقيق( )، سنكتفي بذكر المفاهيم الأقرب[1]إلى الدّقة عند القدماء، توخّيا للإيجاز، ومن ثَمّ تمحيصها للخروج بمفهوم دقيق للتعريض وأقسامه ومجاله. متجنبين آراء القدماء التي خلطوا فيها بين التعريض والكناية والمجاز[٢:٢٦– ٣٨].

نكتفي في هذا الموضع بذكر رأيين في مفهوم التعريض؛

يتمثل أحد الآراء بقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ): "التعريض: أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئت لأسلّم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا:

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وكأنه إمالة الكلام إلى عُرض، يدلّ على الغرض، ويسمى التلويح؛ لأنه يلوّح منه ما يريده"[٣:١/٢٨٣].

يُخرج الزمخشري التعريضَ من الكناية قائلا: "الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف"[٣:١/٢٨٢– ٢٨٣].

ويحدد ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) التعريض بمفهوم الزمخشري نفسه، لكنْ بتعبير أوضح قائلا: "التعريض: اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي"[٤:٢/١٨٦]. فاستبدل كلمة شيء بكلمة اللفظ. وأخرج التعريض من كونه حقيقة ومجازا.

وقد تبنّى هذا المفهوم من المحدثين إبراهيم محمد عبد الله الخولي، واستنتج من كلامَيّ الزمخشري وابن الأثير أن دلالة التعريض "دلالة استتباعية، تختلف في طبيعتها عن الدلالات التي يفيدها اللفظ بطريقة الحقيقة، أو الكناية، أو المجاز"[٢:٣٠ و٣٨]. ومقصوده من (الدلالة الاستتباعية) أن "ينفصل التعريض عن التصريح انفصالا تاما في دلالته"[٢:٢٣]، إلا أن في إشارته هذه تناقضا مع تأييده لرأيَيّ الزمخشري وابن الأثير؛ لأنهما يريان أن التعريض لفظ دال على الشيء من طريق المفهوم، أي إنه معنًى ضمنيٌّ يُتوصل إليه من المعنى الصريح.

ويؤكد الرأيُ الثاني تفسيريَ لرأي الزمخشري وابن الأثير لمفهوم التعريض، ويتبنى يحيى العلوي (ت٧٤٩هـ) الرأي الثاني لمفهوم التعريض، الذي ردّ على ابن الأثير قائلا: "دلالة التعريض إنما هي من جهة القرينة، وليست من جهة المفهوم كما زعمه ابن الأثير؛ لأن دلالة المفهوم لغويّة، ولا هي حاصلة من جهة

() من أهم تلك الدراسات، كتاب التعريض في القرآن الكريم للدكتور إبراهيم عبد الله الخولي. وسنكتفي بالوقوف عند آرائه ومناقشتها بناء على آراء بعض القدماء الذين لم يستشهد بهم؛ لأنها –مع مؤاخذاتنا عليها– الأكثر قربا من مرادنا.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المنظوم لا بالحقيقة ولا بالمجاز"[٥: ١/١٩٣-١٩٤]، فهو "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"[٥: ١/١٩٤]، حيث يُفهَم التعريض من القرينة وليس من اللفظ أو مفهومه عنده[٥: ١/١٩٥].

والتعريض ليس كناية[٥: ١/١٩٥] ولا مجازا[٥: ١/٢٠٠] عند يحيى العلويّ، ويميِّز العلوي بينها في أثناء تفريقه بين الكناية والمجاز قائلا: "ويظهر ذلك من أوجه ثلاثة، أولها: أن الكناية واقعة في المجاز، ومعدودة منه، بخلاف التعريض، فلا يعد منه، وذلك من أجل كون التعريض مفهوما من جهة القرينة، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقته، ولا من جهة مجازه، وثانيها: هو أن الكناية كما تقع في المفرد، فقد تكون واقعة في المركب، بخلاف التعريض، فإنه لا موقع له في باب اللفظ المفرد كما مر بيانه، وثالثها: أن التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق المجاز، بخلاف التعريض، فإنما دلالته من جهة القرينة"[٥: ١/٢٠١]. حيث تدخل الكناية في المجاز، بينما يخرج منهما التعريض عند العلوي.

ويتطابق رأي إبراهيم محمد عبد الله الخولي في أعلاه -باستثناء إخراجه الكناية من المجاز- مع رأي العلويّ، بذهابه إلى أن دلالة التعريض دلالة استتباعية مستقلّة عن الدلالة المُصرّح بها. "فاللفظ أبدا دال، ودلالته الحقيقة الوضعية هي دلالته الأولى، التي يتبادر قصدها منه، ما لم يصرف عنها صارف إلى دلالة أخرى: مجازية أو كنائية. والدلالة التعريضية -بسبب أنها دلالة سياقية- لا تزاحم أيًّا من هذه الدلالات، ولا تتنافى معها، كما تتنافى دلالة المجاز مثلا مع المعنى الحقيقي للفظة"[٢: ٨٢]. وعلى هذا "فالعبارة التعريضية يمكن أن تكون -من حيث هي لفظ دال- حقيقة لغوية، ويمكن أن تكون مجازا، ويمكن أن تكون كناية، وكل ذلك غير دلالتها التعريضية، بحيث يسوغ لنا أن نقول: إنها حقيقة وتعريض، أو مجاز وتعريض، أو كناية وتعريض معا، وفي وقت واحد، دون خلط بين أي من هذه الثلاثة وبين التعريض"[٢: ٨٢].

يتبين، مما سبق، أن آراء القدماء جميعها تخصص التعريض بالمعنى المقصود عند المتكلم، إلا أنهم يختلفون في: هل يُتوصّل إليه عن طريق مفهوم اللفظ والقرائن الحافّة به أو عن طريق القرائن المقامية فقط من دون الاستعان بالمفهوم الصريح؟.

الذي يظهر لي أن رأي الزمخشري وابن الأثير أصوب، فالدلالة التعريضية دلالةٌ مقامية هي ليست دلالة التراكيب ولكنها مستوحاة منها بطريقة أو بأخرى، حيث لا يمكن الاستغناء عن القرينة اللفظية بِنسب متفاوتة، للتوصل إليها مع لزوم القرينة المقامية، وإلا كيف يمكن التوصّل إليها عن طريق المقام فقط من دون الاستعانة باللفظ؟! ويؤكد هذا الرأي كل شواهد التعريض التي استشهد بها القدماء على التعريض، حيث يمكن -بإنعام النظر- لمْح أثر الدلالة الصريحة في التوصّل إلى الدلالة التعريضية في تلك الشواهد، وسأفصّل الحديث عن ذلك الأثر في مناقشة مفهوم (الاستتباع) عند القدماء.

٢,٢,١. مفهوم الاستتباع عند القدماء: استعمل القدماء (الاستتباع) في دلالات متعددة، كما يأتي[٢]:

أولى تلك الدلالات المعنى المستنبط من دلالة التراكيب، قال ابن عاشور: "وهذه الدلالة من مستتبعات التراكيب المستفادة من ترتيب نظم الكلام"[٨: ٢٧/٣٠٣].

---

[٢] سأكتفي هنا بذكر استعمالات ابن عاشور لها، تاركا التفصيل إلى مشروع أكبر بإذن الله تعالى.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومنها المعنى المستنبط من المقام، قال ابن عاشور: "هو من مستتبعات التراكيب بقرينة المقام"[٨: ١/ ٥١٠]، فهي دلالة عارضة توجد تارة وتتخلف أخرى كما في المجاز[٨: ١/ ٥١٠].

أو يُستعمَل للدلالة التعريضية، قال ابن عاشور: "فالتعريض كلام مستعمل في حقيقته أو مجازه، ويحصل به قصد التعريض من قرينة سوقه فالتعريض من مستتبعات التراكيب"[٨: ٩/ ٣٠٥].

يتبيّن مما سبق عدم انحصار الدلالة الاستتباعية بالدلالة التعريضية عند من استعملها من القدماء، وأن حصرها بالدلالة التعريضية لتكون خصيصة مميزة لها من دون سائر الدلالات، كما فعل إبراهيم محمد عبد الله الخولي، أمر غير دقيق.

ولهذا أؤكد ما ذهبت إليه في (١,٢,١) بأن الدلالة التعريضية؛ دلالة خفيّة مرافقة للدلالة الصريحة ومستوحاة منها بقرائن مقاميّة، بل إنها –أي الدلالة التعريضية– تُقوَّى بقرائن لفظية في كثير من الأحيان.

٣,٢,١. تقوية الدلالة التعريضية بالقرائن اللفظية:على الرغم من استعانة الدلالة التعريضية بالمقام لتكون دلالة مرافقة للمعنى الصريح، إلا أنها تستعين بقرائن لفظية لتقوية المعنى، وسأذكر هنا بعض وسائل تقوية المعنى التعريضي على سبيل التمثيل لا الحصر لأن المقام يطول بها.

من تلك الوسائل تأكيد التعريض بـــ(إن)، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾(القمر/ ٤٧–٤٨)، قال ابن عاشور: "هذا الكلام بيان لقوله: ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(القمر/٢٦). واقتران الكلام بحرف (إنّ) لفائدتين، إحداهما: الاهتمام بصريحه الإخباري، وثانيهما: تأكيد ما تضمنه من التعريض بالمشركين؛ لأن الكلام وإن كان موجَّها للنبي (صلى الله عليه وسلّم) وهو لا يشك في ذلك، فإن المشركين يبلغهم ويشيع بينهم وهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة فكانوا جديرين بتأكيد الخبر في جانب التعريض فتكون (إنّ) مستعملة في غرضيها من التوكيد والاهتمام"[٨: ٢٧/ ٢١٥].

ومن تلك الوسائل، التأكيد بـــ(لام القسم) و(قد)، حيث يرى ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر/٦٥). أن "المقصود الأهم من هذا الخبر التعريض بالمشركين إذ حاولوا النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاعتراف بإلهية أصنامهم. والواو عاطفة على جملة (قل)(الزمر: ٦٤) . وتأكيد الخبر بلام القسم وبحرف (قد) تأكيد لما فيه من التعريض للمشركين"[٨: ٢٤/ ٥٨].

ومنه أيضا (تقوية لتعريض بضمير يعود عليهم)، فقد رأى ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(التوبة:١٢٣) "من التعريض بالمنافقين كما تقدم، فالمنافقون خاطرون بذهن السامع فيكون الإتيان بضمير يعود عليهم تقوية لذلك التعريض"[٨: ١١/ ٦٥و٢٢/ ٣٦٨].

ومن القرائن اللفظية التي تُقوِّي الدلالة التعريضية (الحصر)، بل إن الحصر في غير دلالته الحقيقية من لوازم تحقق الدلالة التعريضية، ومثال ذلك رأي ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/ ٥)، أنقلُه على طوله لأهميّته: "والحصر المستفاد من التقديم في قول: (وإيّاك نستعين) حصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بالاستعانات المتعارفة بين الناس بعضهم ببعض في شؤونهم، ومعنى الحصر هنا لا نستعين على عظائم الأمور التي لا يستعان فيها بالناس إلا بالله تعالى. ويفيد هذا القصر فيهما التعريض بالمشركين الذين يعبدون غير

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الله ويستعينون بغيره؛ لأنهم كانوا فريقين: منهم مَن عَبَد غيرَ الله على قصد التشريك إلا أنّ ولعه واستهتاره بغير الله تعالى أنساه عبادة الله تعالى كما عبدت سبأ الشمس وعبد الفرس النور والظلمة، وعبد القبط العجل وألّهوا الفراعنة، وعبدت أمم السودان الحيوانات كالثعابين. ومن المشركين من أشرك مع عبادة الله عبادة غيره وهذا حال معظم العرب ممن عبد الأصنام أو عبد الكواكب [....]، وهؤلاء كلهم جعلوا الآلهة بزعمهم وسيلة يتقربون بها إلى الله تعالى، فهؤلاء جمعوا العبادة والاستعانة بهم؛ لأن جعلهم وسيلة إلى الله ضرب من الاستعانة، وإنما قلنا: إنّ استفادة الرد على المشركين ونحوهم بطريق التعريض، أي بطريق عرض الكلام؛ لأن القصر الحقيقي لا يصلح أن يكون لرد الاعتقاد إلا تعريضا؛ لأن معناه حاصل على الحقيقة"[٨:١/١٨٥].

يتبين مما سبق أن للقرائن اللفظية أثرا في الاسترشاد إلى الدلالة التعريضية التي ترافق الدلالة الصريحة، وإنها –أي القرائن اللفظية– تُقوّي الدلالة التعريضية، بل إنها من لوازم تحققها كما مرّ في أسلوب الحصر بـــ(إيّاك).

٣.١.أقسام التعريض عند القدماء: ينحصر تقسيم القدماء للتعريض بالدلالة على معناه، حيث يرون أنه على قسمين: "قسم يراد معناه الحقيقي ويُشار به إلى المعنى الآخر المقصود، وقسم لا يراد معناه الحقيقي بل ضُرب مثلا للمعنى الذي هو مقصود التعريض"[٦:٢/٢١٧].

بعيدا عن هذا التقسيم المتداول، الذي لا ينفعنا بشيء، يمكن أن نلمح تقسيما آخر صرّح به السكاكي(ت٦٢٦هـــ) في تعريف التعريض، كما نقل عنه السيوطي(ت٩١١هـــ)، قائلا: "التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور، ومنه أن يُخاطَب واحد ويُراد غيره"[٧:٣/١٦٤]، وأشار إليه علماء آخرون ضمنا ويمكن استشفافه عن طريق الأمثلة التي استشهدوا بها على التعريض.

إن تصريح السكاكي بوجود نوعين للتعريض في التعريف السابق إشارة منه إلى تغاير كل نوع وتمايزه عن الآخر وهو ما نتفق معه فيه تماما.

ومن تعريف السكاكي السابق ومن الأمثلة التي استشهد بها القدماء على التعريض يمكن أن نصنّفَ التعريض على صنفين، هما:

١.٣.١. صنف يتعلّق بالمعنى: وهو على الصنفين المذكورين في أعلاه:

١.١.٣.١. صنف يراد به معناه الحقيقي ويُشار إلى المعنى الآخر المقصود: كأن تزور أحدا وتقول له: جئت لأسلّم عليكَ يا أيها الرجل الكريم، ففي هذا المثال يُقصد المعنى الحقيقي وهو (السلام على الشخص، ونعته بالكرم)، ويُقصد أيضا المعنى المُعرَّض وهو: قصدتك لأجل إكرامي.

٢.١.٣.١. صنف لا يُراد معناه الحقيقي بل ضُرب مثلا للمعنى الذي هو مقصود التعريض: كما في قول النبي إبراهيم (ع): ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[الأنبياء/٦٣]، حيث لا يقصد النبي بقوله هذا الحقيقة مطلقا بل –كما يقول ابن عاشور–: "تعريضا بأن ما لا ينطق ولا يُعرِب عن نفسه غير أهل للإلهية"[٨:١٧/ ١٠١].

ومنه أيضا قول "عبد الله بن رواحة حين اتهمته امرأته في جارية له، وقد كان حَلَف أن لا يقرأ القرآن وهو جُنب، فألحّت عليه بأن يقرأ سورة فأنشأ يقول:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

شَهِدْتُ بأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وأَنَّ النارَ مَثْوَى الكافِرِينا
وأَنَّ العَرْشَ فوْقَ الماءِ طافٌ وفوقَ العَرْشِ رَبُّ العالَمِينا
وتَحْمِلُه ملائكةٌ شِدادٌ ملائكةُ الإلهِ مُسَوَّمِينا

قال: فرضيت امرأته؛ لأنها حسبت هذا قرآنا فجعل ابن رواحة، رضي الله عنه، هذا عَرَضاً ومِعْرَضاً فرارا من القراءة"[١:٧:١٨٣/٩].

٢.٣.١.صنف يتعلّق بالمُخاطَب الذي يتوجّه إليه الخطاب: يرسل المتكلم خطابه إلى مخاطب ظاهر ولكنه يتوجه به إلى شخص آخر حاضر في أثناء الخطاب، وهو ما ينطبق عليه المثل المعروف: "إيّاك أعني واسمعي يا جارة"[٩:١:٤٩/١].

ويمكن تقسيم النوع الثاني، أي (الذي يتعلّق بالمخاطب الذي يتوجّه إليه الخطاب) إلى نوعين أيضا، هما:

١.٢.٣.١. الإحالة بالضمير (أنا) إلى المتكلم مع شمولها بالإحالة إلى المخاطب أو إلى شخص يحضر في الحوار؛ كأن يتحدث المتكلم مع مخاطب فيعظ نفسه ويقصد وعظ نفسه ووعظ المخاطب أو شخص حاضر في الحوار غير المخاطَب. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(يس/٢٢) يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "وهذا الخبر مستعمل في التعريض بهم كأنه يقول: وما لي لا أعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله: وإليه ترجعون، إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التعرض"[٨:٢٢:٣٦٨/٩]، حيث تتناوب الإحالة هنا بين (أنا) و(أنتَ). وقد يكون المقصود غير المخاطب الظاهر، كأن تقول للمخاطَب: أنا مقصّر وأستحق العقاب، والمقصود: (أنا+ هو) أو (أنا+ أنت) مقصران ونستحق العقاب، فالمتكلم هنا يحيل على نفسه حقيقة بالضمير (أنا)، ولكنه يتوجه به إلى مخاطب مضمر –تعريضا– قد يكون هو المخاطب الظاهر وتقدير (أنت أيضا)، أو قد يكون عنصرا ثالثا حاضرا في العملية التخاطبية وتقديره (هو أيضا)، وقد يشمل المتكلم على نحو التصريح، والمخاطَب والشخص الحاضر أثناء الحوار أيضا وتقديره (أنت+ هو أيضا).

٢.٢.٣.١.الإحالة بالضمير (أنت) على مخاطب ظاهر والمراد (هو) مخاطب مضمَر، كالآيات التي ينذر الله بها نبيه ويحذره من الضلال أو الانحراف أو الشرك ولكنه لا يقصد النبي بل سائر الناس غيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر/٦٥)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "فالمقصود بالخطاب تعريض بقومِ الذي أوحي إليه؛ لأن فرض إشراك النبي (صلى الله عليه وسلم) غير متوقَّع"[٨:٢٤:٥٨/٢٤]

ولا يتعلق النوعان الأخيران في (١.٢.٣.١) و(٢.٢.٣.١) بالمعنى، بل يتعلقان بالجهة التي يتوجه إليها المتكلم بالخطاب.

ولا شك في أن ثمة فرقا بين الكلام الذي له معنى ظاهر وآخر مضمر مرافق له، وبين إرسال الكلام إلى مخاطب ظاهر ولكن المتكلم يتوجه به إلى مخاطب آخر غير الذي يُرسَل إليه الخطاب.

الذي أراه أن النوع الثاني (١.٢.٣.١) –أي الذي يتعلّق بالمخاطب الذي يتوجّه إليه الخطاب– يتشاطر مع النوع الأول (١.٣.١) –أي الذي يراد به معناه الحقيقي ويُشار إلى المعنى الآخر المقصود– في ثلاث سمات؛

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الأولى: اعتماده على المقام اعتمادا كليا بالاستعانة بالقرائن اللفظية. والسمة الثانية: أن التعريض –بنوعيه– قد يتصاحب مع فنون بلاغية أخرى. والغرض منها –في السمة الثالثة– التلويح بأمر ما أو التلويح إلى شخص آخر غير الذي يُرسَل إليه الخطاب.

أما السمة الخلافية، أو الملمح التمييزي بين النوعين فهو: أن الاستراتيجية التي يمارسها المتكلّم مع المخاطَبَين الظاهر والمضمر في النوع الثاني(٢.٣.١) هي لعبة تمريرية أو تمويهية –كما سيأتي– ترتكز على المقام وتتكئ على الدلالة أو التركيب اللغوي. بخلاف النوع الأول(١.٣.١) الذي يتعلق بالمعنى فالمتكلم يقول شيئا ويقصد معنًى غير معناه الظاهر أو المجازي بقرائن سياقية بحتة، فالمعنى مرافِق أو هو (معنى معنى المعنى) في حال كان الكلام المعرَّض به مجازا أو كناية، أو هو (معنى المعنى) في حال كان الكلام حقيقيا. أما النوع الثاني (٢.٣.١) –وهو أن يتوجه المتكلم بخطابه إلى مستمع ولكنه يريد به مستمعا آخر يحضر في العملية التواصلية– فإنه لا علاقة له لا بالتركيب ولا بالمعنى، وفي هذه الحالة قد يكون الكلام المُمَرَّر، من مخاطب ظاهري إلى مخاطب مضمَر، تورية أو كناية أو تشبيها أو استعارة، وقد يكون التركيب بأسلوب من أساليب علم المعاني المعروفة عند البلاغيين.

الفرق –إذن– بين النوعين هو أن النوع الأول(١.٣.١) يتعلق بالمعنى الظاهر والمضمر الذي يقودنا إليه السياق المقامي بالاستعانة بالقرائن اللفظية، أما النوع الثاني(٢.٣.١) فلا يتعلق بالمعنى بتاتا بل يتعلق بـــ(المتلقي المقصود) أو(إلى مَن يتوجه الخطاب؟) أو(مَن يقصد المتكلم بخطابه، زيد أو عمرو الحاضرَين معا في أثناء الخطاب)؟

لهذا أرى فصل النوع الثاني(٢.٣.١) عن النوع الأول(١.٣.١)، وإنْ اشتركا في الخصائص المذكورة، فاشتراكهما لا يعني أنهما من جنس واحد. فقد تشترك الكثير من الفنون في جملة من الخصائص إلا أنها تبقى متمايزة عنها في فنّ مستقل، كدلالة بعض الفنون على(معنى ضمني) تشير إليه قرائن لفظية ومقامية، كما نجده في الفنون البيانية جميعها. أو اشتراك التشبيه والاستعارة بالدلالة على التشبيه إلا أن الاستعارة هي تشبيه حذفت فيه أداة التشبيه، وبهذا تفترق الاستعارة عن التشبيه وتدخل فيها أنواع مستقلة لا يدخل واحد منها في فن التشبيه.

وإذا ساغ فصل النوع الثاني عن فن التعريض صار بإمكاننا البحث عن تخصيص فنّ خاصّ به لا يدخل في التعريض، ويمكن أن أسميه بـــ(التوجّه الخطابي) أو(أسلوب التوجه الخطابي).

٤,١. أسلوب التوجّه الخطابي (Discourse Orientation Technique)**:** يرد لفظ (توجّه) في المعاجم العربية بدلالات عديدة، ما يعنيني منها دلالته على (الإقبال)، يقول ابن منظور: "والتوجُّه الإقبال"[١٣:١/٥٥٨]، من هنا ساغ لي استعمال لفظ (التوجّه) مصطلحا للدلالة على (الأسلوب الذي يستعمله المتكلم للتوجّه أو الإقبال على المخاطب بالخطاب لغرض الإفهام).

وتختلف دلالة (التوجّه) عن دلالة (التوجيه)؛ لغة واصطلاحا، فعلى الرغم من اشتراك اللفظين بالمادة اللغوية نفسها وهي (و ج ه) إلا أن دلالتيهما مختلفتان، فإذا كانت دلالة التوجّه على الإقبال، فإن دلالة التوجيه على الطلب، "يقال: وجَّهتِ الريح الحصى تَوجِيهًا إذا ساقتْهُ"[١٣:١/٥٥٨]. والتوجيه مصطلح من مصطلحات جون

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

سيرل في الأفعال الكلامية التي تحمل قصد الطلب بأنواعه المعروفة، والتي أشار إليها علماء البلاغة القدماء في أساليب الطلب.

ويشمل أسلوب التوجّه نوعين،

١,٤,١. (التوجّه الصريح): أي إقبال المتكلّم بالخطاب على مخاطَب صريح لغرض إفهامه. ولا يدخل هذا النوع في موضوعنا.

٢,٤,١. (التوجّه المضمر): وهو موضوع بحثنا في (المُخاطَب المضمَر): وهو على نوعين أيضا:

١,٢,٤,١. أنْ يُمرِّر المتكلم خطابه عبر نفسه أو عبر مخاطب ظاهر إلى مخاطب مضمر لغرض إفهامه، ويتحقق بالنوع الثاني من أسلوب التوجه أي (التوجّه المضمر) المجاز التواصلي باصطلاح أوركيوني، كما سيأتي. ويدخل في هذا النوع المخاطب المضمر بنوعيه عند القدماء العرب، كما مرّ في (٢,٣,١).

٢,٢,٤,١. أن يتحدّث المتكلّم مع مخاطَب ظاهر عن شخص غائب (هو)، ولكنّ المتكلّم لا يتوجّه بخطابه إلى (أنت) ولا يتوجّه به إلى(هو المتحدَّث عنه)، ولكن(يتوجّه) بالخطاب –إضمارا– إلى(هو آخر) غير الشخص المتحدّث عنه، وهنا يكون التناوب بين (هو الصريح المتحدَّث عنه) و(هو المُضمَر المتوجَّه إليه بالخطاب)، الذي ينطبق عليه –أيضا– المثل المذكور: إيّاك أعني واسمعي يا جارة. نحو ذلك قول الشاعر في الموشح الديني باللهجة العراقية:

حِصّة التاريخ عدنا مُحبِط لجيل المدارس
يِقرَه عن العرب جانوا بالحروب أشجع فوارس
ويُنظر الواقع بِشاهد عنتره خايف وخانس
.....
عِدْنه اسيُوف امْذَهِّبَه بَسّ الرّجوله مِن شبَه
ونِسْر المواقف مَخلَبه اختصاصه بس فِطايس
.....
عنتر وين غَزّه من رادته عنتر وين خاتِل يم عَبلِتَه

يتحدث المتكلم –في البيتين الثالث والأخير– مع الجمهور عن (هو صريح)؛ يتمثّل بشخصية عنترة الذي عُرِفَ بالشجاعة، ولكنّه اليوم جبان يختبئ عندما دَمّر الكيانُ الصهيونيُّ الغاصبُ غزّةَ. ولكنّه في الحقيقة يتوجّه بخطابه إلى (هو آخر مضمر)؛ ويقصد به الحكام والزعماء العرب وقادة الأحزاب الإسلامية الذين يدّعون نصرة فلسطين ومقاومة المُحتَلّ، ولكنّهم في الحقيقة جبناء متخاذلون لا تظهر قوّتهم إلا على الضعفاء ولا يملكون إلا الشعارات الرنانة. حيث يستعمل الشاعر هنا أسلوب (التوجّه المضمَر)، أو ما يمكن أسميَه بـــ(إيّاك أعني واسمعي يا جارة).

وتنبغي الإشارة –هنا– إلى أن لأسلوب التوجّه المضمر إستراتيجياتٍ وأغراضا سنتناولها في الموضوعات اللاحقة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٢. التعريض في تحليل الخطاب:

تشترط العملية التواصلية وجود ثلاثة أطراف رئيسة للخطاب، هي: (متكلّم) يتوجّه بـــ(رسالة) إلى (المخاطب).

وقد ركّزت النظريات اللسانية ومناهج تحليل الخطاب على دراسة هذه الأطراف الثلاثة. فاعتنوا بدراسة المتكلم وأثره في عملية إنتاج الرسالة، واهتموا بالمحتوى القضوي للرسالة وبالمقاصد التداولية التي يخفيها المتكلم فيها. وفصّلوا الحديث في المخاطب وأنواعه بمعنى أنهم صبّوا اهتمامهم بالمتكلم والمخاطب والرسالة.

١.٢. المعنى الضمني والتعريض في تحليل الخطاب: نجد مناهج تحليل الخطاب تتحدث عن التعريض ضمن موضوع (الضمني) (Implicature) أو (Conversational implication)، ويعدّ غرايس أول من تحدّث عن الضمني في عام(١٩٧٥م)[١٠: ٣٩] [١١: ١٢٠]، ويستعمل غرايس هذا المصطلح "للحديث عما يمكن أن يضمّنه أو يوحي به أو يعنيه متكلم ما فوق ما يصرّح به ظاهر كلامه"[١١: ٤٠]، والأهم عند غرايس حديثه عن مفهوم الضمني في المحادثة، فعندما تحدّث عن شروط نجاح عملية التحاور بالالتزام مبادئ التعاون الأربعة في المحادثة أشار إلى إمكانية ايحاء المتكلم إلى دلالات ضمنية عبر كسر إحدى قواعد التعاون الأربعة (الكمّ والكيف والملاءمة والوضوح)[١٠: ٤٠]، بأنْ يضمّن المتكلم المعنى المباشر معنى ضمنيًّا ثاويا في اللفظ الصريح[١٠: ٤٠]، حيث "يمكننا أن نستنبط من الملفوظ محتويات لا تُشكّل مبدئيا الموضوع الحقيقي للتلفظ، ولكنها تظهر من خلال المحتويات الصريحة، وهذا مجال الضمني"[١١: ٤٠-٤١]، من هنا تتضمن العبارات في التواصل معنى تصريحيًّا بشكل جزئي ومعنى ضمنيًّا بشكل جزئي أيضا، وغالبا ما يكون الضمني أكثر من التصريحي في التواصل[١٢: ١٤٤].

غير أن من المعاني الضمنية ما يكون إسهام التصريح فيها ضعيفا أو أقل وضوحا وقد لا يسهم أساسا في إنتاج المعنى الضمني، وهو ما اتبعه سيرل في الحديث عن الأفعال الكلامية غير المباشرة[١٣: ٢٩٧]، كما سيأتي.

٢.١.٢.أقسام المعنى الضمني في تحليل الخطاب:

١.٢.١.٢.تقسيم مانغانو: يقسّم مانغانو المعنى الضمني إلى قسمين، هما[١١: ٧١]:

أ- الضمنيات الدلالية: وهي ضمنيات تتعلق بالمادة اللغوية للملفوظ.

ب- الضمنيات التداولية: يتوصل إليها المخاطَب عبر ربط الملفوظ بسياقه وباستدعاء قوانين الخطاب.

ويستشهد مانغانو على هذين النوعين قائلا: "من الملفوظ التالي: (لم يعد بول يعيش في لندن بل في باريس)، يمكننا أن نستنبط مثلا هذين الضمنيين الدلاليين، (يعيش بول حاليا في فرنسا) وقبل ذلك (كان بول يعيش في لندن)، في سياق معيّن يمكن للمتلفظ المشارك كذلك استنباط ضمنيات تداولية، من ذلك مثلا: (لا يمكن لبول أن يلبّي دعوتنا) أو (لم يستطع بول استلام دعوتكَ)" [١١: ٧١].

٢.٢.١.٢. تقسيم ديكرو: يقسّم ديكرو المعنى الضمني إلى ثلاثة أقسام هي: (المعنى المستنبط من المنطوق، والمقتضى، والمحتوى المضمر)، فيحلل المعنى الضمني في عبارة: زيد أقلع عن التدخين، بالشكل الآتي:

أ- المعنى اللفظي (المنطوق): زيد لا يدخّن حاليًّا. وهو معنى أعلن عنه صريح الملفوظ.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ب- المقتضى: زيد كان يدخّن، وهو مستوحى من الملفوظ ومستنبط من عبارة (أقلع عن).

ت- المحتوى المضمر: الأحسن أن تفعل مثله. وهذا المعنى مرتبط بسياقه وبظروف خاصة[١٣: ٢٦٩] [١٤: ٤٠ و١٢٩- ١٣٠].

ويمكن أن نُدخل (الصنف الثاني) عند مانغانو و(الصنف الثالث عند ديكرو) بما أسماها علماؤنا القدماء بـــ(التعريض) بمعناه الأوّل، (لفظ يراد به معناه الحقيقي ويُشار إلى المعنى الآخر المقصود استتباعا)، راجع الفقرة (١.٣.١) من هذا البحث. أما المعنيان السابقان (المنطوق والمقتضى) فلا يدخلان في مفهوم التعريض؛ لأنهما يستنبطان بالاستعانة بالملفوظ.

ويدخل المعنى التعريضي أيضا في مفهوم (الأقوال المضمرة) (Sous-entendu) عند غرايس "فالأقوال المضمرة، على خلاف الافتراضات المسبقة هي محتويات ضمنية تداولية، أي استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفظ المشارك بفضل استدلال عفوي إن قليلا أو كثيرا، يعتمد على مبادئ (قوانين الخطاب) تحكم النشاط الخطابي"[١١: ١١٩].

والملاحظ على المعاني الداخلة في التعريض في الأمثلة التي استعملها مانغانو وديكرو أنها معانٍ تداولية، ولكن هذا لا يعني أن كل معنى تداولي داخل في المعنى التعريضي الاستتباعي بمفهوم القدماء؛ لأن من المعاني التداولية ما يمكن استنباطه من اللفظ، إذ رأى براون ويول أن المعاني الضمنية كما هي عند غرايس "مستقاة جزئيا من المعنى المتواضع عليه أو المعنى المباشر للقول حسب استعماله في سياق محدد مشترك بين المتكلم والمخاطب، وتعتمد على التزام المتكلم والمخاطب بالمبدأ التعاوني وضوابطه"[١٠: ٤٢]، ففي الحوار الآتي بين المتحدثَين (أ) و(ب):

أ-لم يبق لدي أي بنزين. ب-توجد محطة على بعد أمتار.

فالمتكلّم (أ) -بحسب غرايس- لا يعطي معلومات مجانية للمتحدث (ب)، لذلك يفترِض المتحدث (ب) أن المتحدث (أ) ملتزم بمبدأ التعاون، وأنه لم يصرّح بطلبه وهو إرشاده إلى محطة بانزين[١٠: ٤٢] [١٥: ٢/ ٥٢٦].

ولكي يفهم المتحدث (أ) كلام المتحدث (ب) عليه أن يعرف بعض الأشياء عن العالم الواقعي، ليستنتج من كلام المتحدث (ب) أن المحطة ليست فقط على بعد أمتار بل مفتوحة أيضا[١٠: ٤١].

ولا شك في أن هذه المعاني التي استنبطها المتحاوران في محادثتهما السابقة داخلة ضمن المعاني التداولية (الأقوال المضمرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة، والاستلزام الحواري) غير أنها لا يمكن أن تدخل في النوع الأول الذي يتعلق بالمعنى التعريضي المستتبع عند علمائنا القدماء؛ لأنها معانٍ تداولية توصّل إليها الطرفان عبر الدلالة الوضعية للألفاظ بالاستعانة بالمقام والافتراضات المسبقة.

ومن هنا، فإن المعنى التعريضي الاستتباعي عند العلماء العرب القدماء يمكن أن تدخل فيه بعض المقاصد التداولية، وذلك "عندما لا يكون للمحتويات الضمنية واسمات في الملفوظ واضحة (وهي الحالة الغالبة) فإنه لا يمكن الاهتداء إليها إلا بفضل عوامل أخرى، هي قبل كل شيء عوامل سياقية"[١٣: ٢٩٦]، إذ "من بين مجموع المحتويات الضمنية توجد إذن محتويات موسومة (لها في الملفوظ حامل معجمي أو صرفي- تركيبي) في حين أن محتويات أخرى ليست موسومة (أو وسمها أقلّ وضوحا)، وهذا هو الأساس الذي يقيم عليه ج.ر.سيرل المقابلة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بين أعمال اللغة غير المباشرة الاصطلاحية مقابل غير الاصطلاحية، أو هـــ.ب.غرايس بين الضمنيات الاصطلاحية مقابل التحادثية"[٢٩٧:١٣].

٣.١.٢.أثر الاستنباط (Inference) في التوصل إلى المعنى التعريضي الاستتباعي: يُقصَد بالاستنباط (Inference) في مناهج تحليل الخطاب "جملة مُستنبَطَة من جملة أخرى بواسطة قاعدة واعية أو لا، ونعني عادة بها الجمل الضمنية [...] التي يمكن للمتلفظ المشارك استنباطها من ملفوظ ما باعتماده هذا الملفوظ أو على معلومات مستقاة من سياق التلفّظ، في هذه الحالة، يطابق الاستنباط الضمنيات الدلالية أو التداولية، بيد أن بعض التداوليين يخصّصون مفهوم الاستنباط للضمنيات التداولية أي لتلك التي تتوقف على سياق تلفظ بعينه"[٧٣:١١].

ويميّز علماء تحليل الخطاب ولا سيما علماء التلفظ –كبنفنيست أوركيوني وديكرو– بين الاستنباط أو الاستدلال الصوري المنطقي، وبين الاستنباط الطبيعي، فالأول محكوم بقواعد صورية حيث تؤدي نتيجة(أ) إلى (ب) لزوما. أما الاستنباط الطبيعي فهو استنباط ينطلق من طبيعة اللغة وبمعارف المتخاطبين وقدرتهم على الاستنباط وتكون نتائجه تأويلية وغير حتمية[٣٠١:١٣– ٣٠٢]، بل قد يستنبط المخاطَب معنى لم يقصده المتكلم، فقد رأى ريكانتي: "قد يستخلص المتلفظ المشارك من كلام (أ) استنباطا لم يكن في نية (أ) حمله على استنباطه، مثلا: إن قال (أ) بأنه عاش عشر سنوات في إنكلترا، فإن(ب) يستطيع أن يستنبط بأنه يتكلم الإنجليزية، حتى وإن كان (أ) قد قال ذلك بنية أخرى"[١٢٠:١١].

نخلص من كل ذلك أن التداوليين قد التفتوا إلى المعنى التعريضي المستتبع، إلا أنه جاء ضمن مباحث (المعنى الضمني)، إذ اشتمل مصطلح (الضمني) ثلاثة أنواع عندهم: (المنطوق والقضوي والمحتوى المضمر. أو بتعبير مانغانو: (ضمني تداولي، وضمني دلالي)، وتدخل في الضمني التداولي متضمنات القول: الاستلزام الحواري، والأقوال المضمرة، زيادة على الأفعال الكلامية غير المباشرة، وأنهم ربطوا المعنى الاستتباعي بالملفوظ جزئيا أو بمعنى غير مباشر، بمعنى أنه لا يمكن التوصل إليه إلا بواسطة المعنى الوضعي أو بجزء منه أو بما يوحي إليه. بخلاف ما يراه علماؤنا القدماء الذين ميزوه عن المعنى المستوحى من اللفظ، فخصصوا له بابا خاصا أسموه بـــ(التعريض).

٢.٢. المخاطَب في تحليل الخطاب: يُعرّف (المخاطَب، أو المرسَل إليه أو المتلقي) (Destinataire) (Sdressee)[٨:١٦و٤٤و١٢٥]، بأنه: مصطلح يُعيّن الشخص الذي يتوجّه إليه المتكلّم عندما يتلفظ أو يكتب[١٣: ١٦٤] [٨:١٦ و٤٤ و١٢٥].

وتميّز نظريات المحادثة بين مصطلح المخاطب(Destinataire) (Sdressee) ومصطلح المتقبّل (Recepteur) "يمكن أن يوجد متقبّلون حاضرون أو غائبون، متقبّلون وحيدون أو متعددون، متقبّلون حاضرون يتوجّه إليهم و/أو آخرون حاضرون أيضا لا يُتوجّه إليهم، متقبّلون لهم حق تناول الكلمة حسب دورهم، وآخرون لا يتناولونها إلا بطريقة مؤجّلة (بالكتابة مثلا)، وآخرون لا يمكن أن يكونوا إلا في وضع استماع (أثناء محاضرة مثلا)"[٤٦٩:١٣–٤٧٠]. فالمخاطَب هو المتقبّل المستهدَف فقط، أما غيره من المستمعين فهم ليسوا مخاطَبين بل هم متقبّلون غير مستهدفين.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومع هذا يبقى مصطلح(المخاطَب) أو(المرسَل إليه) غامضا ومبهما، ويأتي سبب إبهامه من إبهام مفهومه في (تعيين الشخص الذي يتوجه إليه المتكلّم)، نظرا لتعدّد وجهات المتكلّم، فقد يتوجه بخطابه إلى شخص غائب عن عملية التلفّظ، أو شخصا مثاليا أو خياليا، أو يمكن أن يكون مخاطَبا مضمرا هو غير المخاطب الصريح...الخ[١٣:١٦٤– ١٦٥]، لهذا يمكن تقسيم أنواع المخاطَب من وجهة نظر تحليل الخطاب إلى ما يأتي:

١.٢.٢. المتلفِّظ المصاحب: يضع كوليولي ضمن لسانيات التلفظ مصطلح (المتلفِّظ المصاحب)[١٣: ١٦٥] أو (المتلفظ المشترك) (Co–enonciation)[١٧: ٣٠٥ و٤٢٧]، للإشارة إلى أن عملية التلفظ هي عملية مشتركة، حيث يصبح المتكلم مستمعا، والمستمع متكلّما فيحدث تصاحب في التلفظ[١٣: ١٦٥]. فتشكّل حلقة دوّارة، حيث يحصل (لا تناظر) أو (لا تجانس) بين (الإنتاج) من جهة المتكلم، و(التعرّف) من جهة المخاطب، فكل واحد يبني في الوقت نفسه إنتاج الآخر واستقباله. ليُفضّل كوليولي مصطلح (المتلفظ المشترك أو المصاحب) على مصطلح التلفظ[١٧: ٣٠٥].

وللمتلفظ المصاحب مظهران؛ فإن استُعمل مفردا فإنّه يعيّن المرسل إليه، وإن استُعمل بصيغة الجمع فهو يُعيّن طرفي التواصل اللغوي. وترى أوريكوني أن هذا المصطلح يضعنا في الالتباس في القصد عند استعماله بصيغة الجمع، فهل المقصود به جمع المرسلين (أنت+أنت...) أو بالمتخاطبين (أنا+أنت)، ويقع المشكِل الأكثر تعقيدا في تأويله بوصفه (مخاطِبا مباشرا) و(مرسَل إليه حاضرا) في مقام التلفظ[١٣:١٦٥].

٢.٢.٢. الذات المرسَل إليها: يستعمل باتريك شارودو هذا المصطلح "لتعيين الكائن القولي (المتكلم داخل) الذي يُبنى بعمل تلفظ المتكلم (أو الذات المتواصلة)، وهكذا يكون في علاقة توازٍ مع الذات المتلفظة (أو المتلفظ) باعتبار أن الاثنين هما بطلا إخراج المشهد الخطابي، وهما بطلان معارضان للباث (الذات المتواصلة)، وللمتقبل (الذات المؤوّلة)...، ومن هنا يمكن أن نقول: إن الذات المتواصلة تتحكم تحكما تاما في الذات المتقبلة، بما أنها هي التي تبنيها بناء مثاليا، ساعية إلى أن تؤثر فيها التأثير الموافق لمشروع القول"[١٣:١٦٦].

٣.٢.٢. المخاطَب المباشر: يميز غوفمان بين نوعين من المخاطَبين: أحدهما المخاطبون المباشرون الذين يعنيهم المتكلم الحاضر، والآخر: المخاطبون غير المباشرين الذين لا يعنيهم المتكلم[١٣: ١٦٦]. وتجعل أوركيوني مصطلح (المتقبّل) مصطلحا عاما يشمل نوعين هما: المخاطب (المتقبل المستهدَف)، وغير مخاطَب وهو على قسمين أيضا: المرسَل إليه غير المباشر، والمرسل إليه الإضافي[١٣:٤٧٠].

٤.٢.٢. جمهور المستمعين: يستعمل هذا المصطلح في التواصل الشفوي عندما لا يمتلك المستمعون أيّ مهمة سوى الاستماع من دون أن يشارك بالتلفظ: ويدخل في ذلك الخطاب الإعلامي الموجَّه للجمهور عبر وسائل الإعلام"[١٣:١٦٨].

هذه هي الأنواع التي ذكرها مانغانو وشارودو في معجم تحليل الخطاب، غير أننا نلمح أنواعا أخرى ذكراها في مواطن متفرقة من المعجم وأخرى لم يذكراها وهي:

٥.٢.٢.المخاطَب النموذجي (الفوقي):استعمل باختين مصطلح المخاطَب النموذجي أو الفوقي (Surdestinataire ليدل به على شخص ثالث مثالي نموذجي، يمثل جماعة خطابية (Communaute discursive) ينتمي إليها المتكلم أو يحلم بالانتماء إليها، ويؤمن المتكلم بأحكامها المطلقة والصائبة، وهو شخص يوجد في كل تحاور فوق

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المشاركين، ووجوده ما ورائي قصي أو في زمن تاريخي بعيد، ويتقمّص هوية أيديولوجية يتمثل بـــ(الله، أو الضمير الإنساني غير المنحاز، أو الشعب، أو حكم التاريخ، أو العلم...إلخ)[١١:١٢٥-١٢٦] [١٣:٥٤٣- ٥٤٤].

وقد تطوّرت فكرة المرسل إليه النموذجي على يد بيتار موران في تحليل الخطاب العلمي ليحيل على الوعي العلمي الجمعي الذي ينتمي إليه المؤلف[١١: ١٢٥]، "فالجامعيّ الذي يكتب في الصحافة العادية لا يتجه فقط إلى قرّاء الصحيفة العاديين، وإنما يتجه أيضا إلى أقرانه، وإلى زملائه في جامعته... وليس هو دائما نفسه من مقام إلى مقام آخر عند نفس المتكلم، فيتغيّر هكذا حسب تنوّع الجماعات الخطابية أو اللغوية التي يلتقي بها"[١٣: ٥٤٤].

وعلى أية حال فالمرسَل إليه الفوقي مُتمثَّل ذهنيا في مقام التلفّظ يعيد المتكلم بناءه –بوعي أو بلا وعي– بحسب تجاربه[١٣:٥٤٤].

٦.٢.٢. المخاطب المباشر(Destinataire direct) والمخاطب غير المباشر(Destinataire indirect):تميّز أوركيوني بين المصطلحين بناء على معيار المسافة والبعد، فـــ(المخاطَب المباشر) هو الذي يكون التواصل معه مباشرة في المكان والزمان نفسيهما؛ كالخطاب بين صحفي ومستضاف لديه، أما (المخاطَب غير المباشر) فتتباعد فيه المسافة ويختلف الزمان، ويشمل كل الأعمال الإبداعية ذات الكفاءة العالية وهي أعمال موجّهة لكل المخاطَبين في أي مكان كانوا وفي أي زمان[١٨:٢٦ وينظر مصدره هناك].

٣. مفهوم المجاز التواصلي( ) (Trŏpe Communicationnel) (التوجّه المُضمَر): إذا كان الحديث عن الصريح والضمني أمر تشترك فيه نظريات تحليل الخطاب، فإن أفضل النظريات التي تحدثت عن (المجاز التواصلي) وأحوال المخاطَب وأنواعه وطريقة تلقيه للرسالة وفهمها انطلاقا من تحليل عملية التخاطب إلى جزئياتها من حيث المضامين والأطراف المشاركة وتوجّه الخطاب هي نظريات التلفظ –كما يرى مانغانو وشارودو[١٣: ٤٦٩]– التي أسس لها بنفنيست في بحثه (الذاتية) الصادر عام ١٩٥٥، الذي كان أكثر اللسانيين اعتناء بدراسة الضمائر[١٩:١٢٩].

يندرج المجاز التواصلي في أسلوب التوجّه، كنت قد أسميتها في(٢,٤,١) بـــ(التوجّه المضمر)، وهو تقنية يستعملها المتكلم لإضمار مخاطَب يُمرِّر إليه الخطاب عبر الحديث عن نفسه أو عبر مخاطب ظاهر، أو يمرر الخطاب عبر الحديث عن شخص ما(هو صريح) إلى مخاطب مضمر (هو آخر مضمر) كما مرّ في (٢,٤,١).

وتسميته بـــ(المجاز) مجازٌ أيضا، لكنه غير المجاز القضوي الذي ينزاح بالدلالة إلى دلالة ضمنية أخرى، وغير مجاز القصد، الذي يضمِر عبره المتكلم نواياه ومقاصده يكاد يخفيه في قصد العبارة الظاهر.

---

٣) تستعمل ريتا خاطر مصطلح (المحسنات البيانية) ترجمة للمصطلح (Trope) الفرنسي، وأرى أنها ترجمة غير دقيقة والأصوب ترجمته بـــ(المجاز)؛ لأن لفظ المحسّن البياني يحيل على ظاهرة جمالية تحسينية، أما المجاز فهو أشمل، فقد يستعمل بوصفه ظاهرة تحسينية بيانية جمالية وقد يستعمل بوصفه ظاهرة إبلاغية تواصلية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حيث يتعلّق (المجاز التواصلي) بالجهة التي يتوجّه إليها المتكلم بخطابه، أي المخاطب المضمَر، وهنا – كما مر في (٢.٣.١)– يختلف الأمر عن المعنى الضمني؛ لأن الأخير –أي الضمني– يتعلق بالقضية الدلالية التي تتضمنها الرسالة[٢٠:٢١]( )، أو بقصد المتكلم التداولي للمغْنى، أما القصد التواصلي فيتعلّق بتوجّه المتكلم وليس بقصده أو بالقضية التي يطرحها، فقد تكون القضية الدلالية صريحة وغير ضمنية، وكذلك قد يكون قصده واضحا وغير مضمر، إلا أنه يتوجّه بخطابه إلى مخاطَب غير المخاطب الذي يتحدّث معه، بمعنى تعلُّق الضمني القضوي والتداولي بمضمون الرسالة وقصد المتكلّم، أما المجاز التواصلي فيتعلق بـــ(توجّه المتلكم لمخاطَب مُضمَر) من حيث تمرير المتكلم لخطابه عبر مخاطَب ظاهر إلى مخاطَب مضمر. وأنا هنا أتبنى رأي طه عبد الرحمن وهو أن الكلام أصل كل تواصل، وأن حقيقة الكلام "كامنة في كونه ينبني على قصدين اثنين: أحدهما يتعلّق بـــ(التوجّه إلى الغير)، والثاني يتصل بـــ(إفهام هذا الغير).

أما القصد الأول، فمقتضاه أن المنطوق لا يكون كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يُعد متكلما حقا، حتى ولو صادف ما نطق به حضور من يتلقفه؛ لأن المتلقف لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد ألقي إليه بما تلقف، مقصودا بمضمونه هو أو مقصودا به غيره بوصفه واسطة فيه أو قل حتى يدرك رتبة المتلقي، فالمتلقي هو عبارة عن المتلقّف الذي قصده المُلقِي بفعل إلقائه.... وأما القصد الثاني فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل هذه الإرادة فلا يمكن أن يُعَدَّ متكلما حقا حتى لو صادف ما لفظ به فهما ممن التقطه"[٢١:٢١٤].

لهذا فالخطاب عنده "كل منطوق موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"[٢١:٢١٥].

لذلك اقترحتُ فصله عن الضمني القضوي أو التداولي في أسلوب مستقلّ كنتُ قد أسميتُه بأسلوب التوجّه، كما مرّ في (٢.٢.٣.١) و(٤,١).

وسأتناول هنا آراء ثلاثة من علماء لسانيات التلفظ في (المخاطب المضمر وهم: (بنفنيست، وموقف محمد الشاوش ونرجس باديس من رأيه)، و(ديكرو)، و(أوركيوني).

١.٣. رأي بنفنيست: يرفض بنفنيست قبول التقسيم الإغريقي التقليدي للأشخاص[١٥:٢/٥٣٢]، ويدعو إلى نظرية لسانية للضمائر تبنى على أساس التقابلات التي تميز الأشخاص مستعينا بتعريفات النحاة العرب؛ فالشخص الأول للمتكلم، والثاني للمخاطب، أما الثالث فللغائب وهو غير داخل مع الشخصيَن الأوّلَين، ويرى أن هذا التقسيم صحيح ولا سيما في ما يبرزه من انعدام التناسب بين الشخص الثالث والشخصين الأول والثاني[١٥:٢/٥٣٤]. ورأى أن الشخص الثالث ليس شخصا(لا شخص)، وهو فعلا غائب عن التلفظ كما أسماه العرب؛ لأن العملية التحاورية تبنى على شخصين: الضمير(أنا) يعيّن المتكلم أثناء التلفظ، و(أنت) المخاطب الذي يعيّنه(أنا) أثناء التلفظ[١٥:٢/٥٣٥]. فمقولة الشخص لا تخص سوى (أنا) و(أنت)، أما (هو) فصيغة غير شخصية[١٥:٢/٥٣٨].

( ) أشَرتُ في كتابي الوسيط والوسائطية إلى أن وظيفة الرسالة هي الوظيفة القضوية، وليست –كما ذهب إليه جاكوبسون– الوظيفة الشعرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بناء على ذلك بنى بنفنيست تقابل الضميرين (أنا–أنت) وخروج (هو) عنهما، وقد عبّرت الدكتورة نرجس باديس عن رؤية بنفنيست هذه بالمقابلة الآتية: (أنا–أنت)/ هو[١٣٠:١٩].

ويرجح بنفنيست في تعريف الشخص الثاني "بأنه "من يتوجّه إليه الأول بالخطاب، هو الأرجح، تعريف مناسب لاستعماله العادي المألوف، ولكن العادي لا يعني الوحيد والثابت. فمن الممكن أن يستعمل الشخص الثاني خارج سياق المخاطبة وأن يتم إدماجه ضمن نوع من العبارات(اللاشخصية).... والحق أنه يتعيّن ويكفي أن يُتصوّر شخص آخر سوى(أنا) لكي تُجعل له العلامة(أنت)، وهكذا فإن كل شخص يُتَصوَّر إنما هو من جنس (أنت)، يخص ذلك –لا تخصيص ضرورة– شخص المنادى المخاطب. من الممكن إذن لــ(أنت) (أنتم) أن يُعرّف بأنه (الشخص الذي ليس أنا)" [٥٤١/٢:١٥]. فليس بالضرورة أن تحيل صيغة (أنت) دائما على المخاطَب بل قد تحيل على غير المخاطَب[١٣٧:١٩].

وتعد إشارة بنفنيست هذه أول إشارة صريحة إلى مفهوم المجاز التواصلي بصورة عامة على الرغم من تلقيها انتقادات من الشاوش ونرجس باديس.

١,١.٣. موقف محمد الشاوش من رأي بنفنيست: ينتقد الشاوش التقابل الذي تصوّره بنفنيست، وهو: (أنا–أنت)/ (هو).

بعدّه ضمير الشخص الثالث (هو) دالا على (اللاشخص)، واكتفاء عملية التبادل الحواري بين (أنا–أنت)، وأن دلالة (أنت) غير محصورة بالمخاطب بل قد تحيل على غير المخاطب.

رأى الشاوش –من بين ما ردّ به على بنفنيست– أن رأي بنفنيست قد استقام له بإخراج الضمير(هو) من الضمائر الدالة على الشخص، والشاوش لا يطمئن إلى هذا التحديد، فقد يكون الضمير(هو) محيلا على (الشخص)، بناء على المثل العربي المشهور: إياك أعني واسمعي يا جارة[٢:٢٢/ ١٠٨٩–١٠٩٠].

٢,١.٣. موقف نرجس باديس من رأي بنفنيست: تعد نرجس باديس الأكثر بحثا وتخصصا في نظرية الذاتية في العالَم العربي، ونظرا لهذا فقد أمعنت في تقسيم بنفنيست بطريقة أكثر تفصيلا من الشاوش وأكثر وضوحا وانتقادا، فقد لخّصت باديس تقابلات بنفنيست بين الضمائر في ثلاثة تصوّرات هي:

- (أنا–أنت)/ (هو).

للمقابلة بين الشخص واللاشخص.

- مقابلة داخل مجموعة (أنا– أنت)

للمقابلة بين (أنا) و(لا أنا). أو بين الذاتية واللاذاتية.

- مقابلة في نوعَي الجمع:

- الجمع التضميني: (نحن– أنا+أنت).
- الجمع الإقصائي: (نحن– أنا+هو)[١٣١–١٣٠:١٩] [٥٤٥–٥٤٣/ ٢:١٥][٥].

[٥] غضضنا النظر عن التقابلين الثاني والثالث؛ لأنهما لا يتعلّقان بـــ(المخاطب المضمر).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وما يهمّ باديس ويهمّنا المقابلة الأولى، إذ رأت باديس أن نقطة ضعف تصوّر بنفيست اقتصاره على تحليل صورة تبادلية واحدة وهي:(أنا–أنت)/ هو. وقد تجلّى هذا القصور في تبادلية العلاقة بين (أنا/ أنت)، فقد ذهب بنفنيست إلى إبراز التقابل بين(أنا/لا أنا) الذي يبرز مركزية (أنا) في عملية يسميها بنفنيست بـــ(التذاوتية)، فإن "ما يميز(أنا) من(أنت)، هو في المقام الأول حقيقة أن يكون(أنا) داخليا بالنسبة إلى القول وخارجيا بالنسبة إلى (أنت)، ولكنه خارجي على صورة لا تلغي حقيقة الحوار الإنسانية.... وفوق ذلك فإن (أنا) متعالٍ أبدا بالنظر إلى (أنت)... فمن الممكن إذن أن نُعرّف (أنت) بأنه الشخص غير الذاتي في مقابل الشخص الذاتي الذي يمثله (أنا). ويقابل هذان الشخصان معا (اللا شخص) (هو)"[٥٤٢/٢:١٥]. وتعدّ باديس التذاوتية "مفهوما ممثلا لذاتية واحدة متبادلة يمتلكها من يضطلع بالتكلّم... فالذات المتكلمة تكرر ذاتها ولا تعي بالآخر إلا من خلال ذاتيتها، وهو ما يؤكد أن المتكلم المخاطِب لا يخاطب الآخر بل يخاطب ذاته في الآخر"[١٤٤:٢٣]. ولمحت باديس خصيصة للغة العربية مميزة لهذا التعالق بصيغة الضمير (أنت) الذي تراه مركبا من (أنا+ت) ويدل هذا التقارب الصوتي بين (أنا) و(أنت) على التماهي والالتحام أما (ت) فتدل على الخطاب والمغايرة[١٤٥:٢٣].

ومع هذا فقد أقصى بنفنيست ضمير الغائب(هو) من تصوّراته لعمليات التقابل بين الضمائر في المقابلة الأولى، فالشخص الثالث الممثل بالضمير (هو) صيغة غير شخصية[٥٣٨:١٥]، وأن (أنا) و(أنت) ينقلب أحدهما إلى الآخر بينما تنعدم أية علاقة مشابهة بين الشخصين (أنا) و(أنت) مع الشخص الثالث (هو)؛ لأن هو لا يعيّن شخصا فهو (لا شخص)[١٥: ٥٣٩]، وبهذا قطع بنفنيست العلاقة بين الضمائر الثلاثة، بحسب باديس[١٩: ١٣٦]، التي رأت إمكانية تبادل(أنت/هو) لتُكوِّن علاقة جديدة، هي: (أنا)/ (أنت–هو) [١٤٠:١٩]. تقول باديس: "فالعقل قادر على تصوّر أشخاص عديدين في لحظة واحدة قد يكونون (حاضرين) وقد يكونون (غائبين)، فيكون كل شخص متصوّر منهم هو(أنت) سواء أكان مخاطبا أم غير مخاطَب. وقد ينتج عن هذا الأمر تقويض أسس عملية التخاطب من أساسها؛ لأنك قد تتكلم في حضرة شخص وأنت تتصور شخصا آخر، فإذا ردّ عليك الشخص الحاضر ستقول له: أنا لا أخاطبك أنت، أو بالعكس سيضطر كل شخص تخاطبه إلى أن يسأل قبل أن يردّ: هل تخاطبني أنا"[١٣٨:١٩]. وبهذا تكون (أنت) (مبهمة) في الاستعمال فهي قابلة لأن تقع في كل شيء غير أنا فقد تدلّ على (أنت) أو على (هو)، وقد (لا يكون لهذا التصوّر دليل أو قرينة ظاهرة) [١٣٩:١٩].

وذهاب باديس إلى انعدام وجود القرينة الظاهرة في بعض الأحيان إشارة صريحة إلى اعتماد السياق المقامي فقط في الكشف عن المرجع الذي تحيل عليه (أنت).

ورأت باديس أيضا أن في العلاقة التبادلية بين (أنت–هو) يتحول قصد المتكلّم، على حد تعبيرها، عن النسق الخطابي المعهود إلى نسق مخصوص مبني على القصد القائم بين المتكلم والمخاطب المضمر، ليكتسب الضمير (أنت) قيمة إضافية غير متوافرة في النسق اللغوي[١٣٩:١٩].

ولا شك في دقة ما ذهبت إليه باديس في العلاقة التبادلية بين(أنت–هو)، وأن استعمالها لفظ(القصد) للتعبير عن (التوجّه). فهو من إطلاق العام وإرادة الخاص، وقد ظهر من كلام طه عبد الرحمن أن القصد على نوعين، أحدهما: ارتباط مفهوم القصد بالمعنى التداولي(إفهام المتكلم للمخاطب)، أي ماذا يقصد المتكلم من ملفوظه؟ وهي –كما ذكرتُ– مبنية على(قصد المتكلم– الملفوظ في التخاطب)، ويرتبط القصد الآخر بالتوجّه، أي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

(التوجّه إلى الغير). فقد يتعلّق القصد التوجّهي بعلاقة المواجهة بين متكلم ومخاطب، أو يتعلق بالعلاقة التبادلية بين (مخاطبَين) أحدهما هو المخاطب المضمر الذي يتوجه إليه المتكلم، فالعلاقة في التوجه بين(أنا– أنت المضمر). ونجد باديس قد استعملت لفظ(توجّه) عندما وصفت هذا التحول الخطابي بأنه "حالات من التلاعب بالأقوال قد تُستعمَل في مقامات مخصوصة ولكنّها ليست المقامات العادية بالنسبة إلى عملية التخاطب. فيكون المخاطب المضمر فيها هو المخاطب المُتصوَّر في ذهن المتكلّم وليس من (نوجّه) إليه الخطاب"، ويأتي مثالها أكثر توضيحا لهذا التحول قائلة: "هب أن حبيبا يلتقي بحبيبته مصحوبة بأبيها فيقول مُخاطبا الأب وهو(يقصد) الفتاة طبعا: (كيف أنت يا عمّي؟ لقد اشتقت إليك كثيرا. أنت أنيق جدا اليوم). فتحيل أنت في هذا المثال حسب مقياس(المُتصوَّر الذهني) الذي ذكره بنفنيست إلى من هو غائب عن الخطاب ولكنّه هو المُتصوَّر المقصود"[١٩: ١٣٩]. لتؤكد باديس بذلك أنه لا سبيل إلى إقصاء الضمير الغائب(هو).

وينبغي أن أشير هنا إلى أن العلاقة التبادلية بين(أنت– هو) –إذا ما أريد بها تجسيد المخاطَب المضمر– هي علاقة تبادل من طرفين (أنت) باتجاه (هو)، أو(هو) باتجاه (أنت).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الزمر/١٥): يقول ابن عاشور في تفسير الآية المباركة: "فجيء بالموعظة على طريق التعريض والحديث عن الغائب والمراد المخاطبون"[٨: ٢٣/ ٣٦٠].

ففي الآية المباركة السابقة يأمر الله تعالى نبيّه الكريم بالحديث مع الناس(المخاطبِين) عن(الخاسرين) المعبّر عنهم بالضمير(هو الصريح)، ولكنه يتوجّه بالخطاب إلى(أنتم). وهنا يكون التبادل من(هو) إلى (أنت).

ويمكن أن أَزيدَ –على تبادلية(أنت– هو) الذي ذكرته باديس– تبادلا آخر بين(هو صريح– هو مضمر) الذي مرّ الحديث عنه في (٢,٢,٤,١).

٢.٣ رأي أوزوالد ديكرو: رأى ديكرو أن التلفّظ حدث تاريخي لجملة مُنجزَة، والإشاريات في حدث التلفظ واصلات كلامية بين مضمون العبارة والواقع، فهي تشير إلى المتكلم والمخاطب أثناء إنجاز حدث التلفظ[٢٤: ٦٤٦– ٦٤٧].

وبعد أن تحدّث ديكرو عن أنماط المتكلّم، انتقل إلى الحديث عن أنواع المخاطب، وذكر أنواعا له، ما يهمني منها النوع الأول، يقول ديكرو: "أما ما يخصّ المخاطَب، والذي يسمى غالبا المستقبِل، ويُشار إليه بالضمير المسمى(ضمير الشخص الثاني) فيجب تمييزه عن السامع، الذي يسمع فقط ما يقال. وفي مسرحية (النساء العالمات)(الفعل ٢، المشهد٧)، فإن كريسال، لكي يوجه عيوبا لزوجته، والتي يخافها، فإنه يوجّه أمامها إلى أخته بيليز، المنفية في دور المستمعة، قوله بدقة: (إليك أنت، يا أختي، يتجه هذا الخطاب). إن بليز لتكون هي المخاطبة حينئذ، وإليها يتجه التلفظ تبعا للعبارة، وإنها هي التي تشير إلى الضمير (أنتِ)" [٢٤: ٦٤٧].

حيث يميّز ديكرو بين (المخاطَب)(l'allocutaire) و(المستمِع)(l'auditeur)،فـ(المخاطَب) هو (الهدف المقصود) الذي (يتوجّه إليه) (est adressé) الخطاب بالضمير (أنت) لتغيير سلوكه، وإن كان المخاطب هذا خارج الحوار بين المتكلم وشخص آخر وظيفته السماع فقط، أي كونه (وسيلة تواصلية) لتمرير المعنى إلى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المخاطَب، وهو ما خصّ به ديكرو مصطلح (المستمِع) فوظيفته عند ديكرو السماع، أي أداة إبلاغ؛ لأن الخطاب غير موجّه إليه.

٣.٣. رأي كاترين كيربرات أوركيوني: تعد أوركيوني الأكثر تناولا وتفصيلا لموضوع (المجاز التواصلي) في كتابها (المضمر) فقد أسهبت الحديث عن أنواع المجازات في التلفظ.

١.٣.٣. أنواع المخاطَبين عند أوركيوني: ترى أوركيوني أن أنواع المخاطبين ثلاثة، هي[١٤: ٢٣٣ (بتصرّف)]:

أ. مخاطَب مباشر: يرمز له بـــ(م): وهو الشخص الذي (يوجِّه) إليه المتكلم حديثه صراحة.

ب. مخاطَب غير مباشر: أداة يُمرر عبره الكلام إلى المخاطب المباشر، بشرط أن يعي المتكلم وجوده ويعترف به.

ت. مخاطَب إضافي: إن غاب وجوده في ذهن المرسِل.

ويتناول المجاز التواصلي (المخاطَب المباشر) كما تسميه أوركيوني، أو(المضمر) كما أفضّل أن أسميه، والمخاطب الإضافي، كما سيأتي.

٢.٣.٣. أنواع المجاز في نظرية أوركيوني الموسّعة: في إطار تطويرها لنظرية نموذجيّة موسّعة عن المجاز (Trope) تحدّثت أوركيوني عن أربعة أنواع للمجاز[٦].

- المجاز الكلامي المنطوق (Le trope Illocutoire).
- المجاز الإضماري (Le trope implicitatif).
- المجاز التخيّلي (Le trope – fictionnel).
- المجاز التواصلي (Le trope communicationnel):

ويمكن إعادة توزيع هذ الأنواع على صنفين: أحدهما مجازات يمكن أن أسميها بـــ(المجازات القضوية أو القصدية) بمعنى أنها تتعلق بمحتوى الرسالة أو قصد المتلفظ من ملفوظه، وتدخل في هذا الصنف الأنواع الثلاثة الأُوَل عندها. أما الصنف الآخر فيمكن أن أسميه بـــ(المجازات التوجّهية) ويدخل فيه النوع الرابع (المجاز التواصلي) الذي يندرج في (التوجّه المضمر).

٣.٣.٣. المجاز التواصلي؛ مميزاته وأنواعه.

١.٣.٣.٣. مميزات المجاز التواصلي عن غيره من المجازات: التفتت أوركيوني إلى مخالفة النوع الرابع عن الأنواع الثلاثة الأُخَر من أنواع المجاز، فإذا كانت الأنواع الثلاثة متعلقة بتراتبية المحتويات، دلالية كانت أم تداولية، فإن(المجاز التواصلي) عندها يتعلق بتراتبية الفاعلين الذين يؤدون فعل القول، ومن هنا يشمل المجاز التواصلي طرفَي العملية التخاطبية(المتكلّم والمخاطب معا)، وهو ما يذكّرنا بالعلاقات التبادلية لضمير الجمع (نحن) عند بنفنيست، حيث يمكن أن يشتمل الضمير(نحن) على(أنا+أنت) ويمكن أيضا أن يشتمل على(أنا+ هو)، ويشمل أيضا ما طرحته نرجس باديس من إمكانية التبادل بين (أنت/هو) من طرف واحد فقط.

(٦) يرغب الباحث عن التفصيل في الأنواع الثلاثة الأول؛ توخيا للإيجاز، ولأنها غير داخلة في موضوعه، وللتفصيل فيها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومع هذا اكتفت أوركيوني بالحديث عن المجاز التواصلي المتعلق بالمخاطَب فقط؛ لأنه يعنى بطريقة عمل المضمر والاقتباس والخطاب المتعدد الأصوات[١٤:٢٣٢].

يشابه تقسيم أوركيوني الرباعي –من حيث العموم– تقسيمَ العرب القدماء للتعريض، حيث يشمل مصطلح (التعريض) عند القدماء الانزياح الدلالي والتوجّهي، كما مرّ في (٣.١) وهو ما ذهبت إليه أوركيوني في تقسيمها الرباعي الذي خلطت فيه المحتوى الدلالي والتداولي بالمجاز التواصلي الذي يتعلق بالتوجّه. إلا أن أوركيوني وسّعت دلالة المجاز التواصلي ليشمل طرفَي عملية التخاطب (المتكلم والمخاطب). وكان الأجدر بها أن تعزل النوع الرابع عن بقية المجازات الدلالية والتداولية في قسم مستقل بذاته لأسباب سبق أن ذكرناها.

٢.٣.٣.٣. أنواع المجاز التواصلي: يهتم مصطلح (Le trope communicationnel) (المجاز التواصلي) عند أوركيوني بالمخاطَب، ويتحدد (المجاز التواصلي) في ضوء قاعدة الملاءمة عندها[١٤:٢٣٣].

- يتكلم (ج) مع (أ) ولكنه يقصد (ب)

نجد المرسل إليه المباشر (أ)، والمرسل إليه غير المباشر(ب). أما في الواقع فإن المرسل إليه الرئيسي (ب)، والمرسل إليه الثانوي (أ)[١٤: ٢٣٤].

هنا تكون وظيفة (أ) هي وظيفة تمريرية، بمعنى المرور عبر الهدف (أ) لمواجهة الهدف (ب)[٢٥: ٧].

- تشخّص أوركيوني نوعا آخر للمجاز التواصلي وهو: المتكلم يتكلم مع نفسه ولكنه يقصد مخاطَبا آخر يسمعه، فهنا يتساوى المخاطَب الثانوي والمتكلم. فيتخذ المجاز التواصلي (تناج مزيّف)[١٤:٢٣٤].
- تضع أوركيوني قالبا ثالثا للمجاز التواصلي فقد يتلاحم المجاز التواصلي مع التعلّق المعنوي، حيث تجري بعض المتتاليات الخطابية في الوقت نفسه على وقع تشاكلين دلاليين مختلفين، كما في التشكيلة الآتية:

يوجّه المتكلّم ظاهريا إلى المخاطَب المباشر(أ) خطابا يتخذ بالنسبة إلى(أ) معنى أوّل(م١) ولكنه يوجّه حديثه في الواقع إلى مخاطَب غير مباشر(ب) المخوّل بأن يستخرج من القول محتوى ثانيا ينطوي على معنى ثانٍ (م٢) يكون مختلفا عن المعنى الأول.

حيث يعدّ المرسل إليه (أ) نفسه مرسلا إليه مباشرا، في حين يعده المتكلّم مرسلا إليه إضافيا[١٤:٢٣٤–٢٣٥].

ويسهم الضمير المجهول في إنجاح المداهنة الكلامية المزدوجة، فهو يشير إما إلى المخاطَب(أ) أو المخاطب (ب). لينجح في تأدية المجاز التواصلي والتعلّق المعنوي[١٤: ٢٣٦].

- المخاطَب الإضافي: ترى أوركيوني وجوب التمييز بين مستويين في الحوار في الخطاب المسرحي، أحدهما: المستوى الخارجي المشهدي، أي علاقة المؤلف بالجمهور. والآخر: المستوى (الضمن مشهدي) أي علاقة الشخصيات بالشخصيات وهي علاقة الممثلين بالممثلين.

وتثير تساؤلا عن؛ إلى من يتوجّه الخطاب المسرحي؟[١٤:٢٣٧].

"تلاحظ ظاهريا أن الشخصيات تتوجه إلى الشخصيات التي يجسّدها الممثلون، أما الجمهور فيتّخذ بالنسبة إليهم وضع (المتلقي الإضافي)، إذ يعتبر دخيلا (يستمع إلى خطاب غير موجه إليه مبدئيا"[١٤:٢٣٧].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وفي نظر (المجاز التواصلي) تعدّ "الشخصيات في المسرح ظاهريا بمثابة المحاور. ولكن في الواقع، يتوجّه الخطاب فعليا إلى الجمهور؛ لأن الهدف يكمن في إغوائه.... يبدو بالتالي الخطاب المسرحي وكأنه يعمل بمجمله على طريقة المحسّن البياني التواصلي"[١٤:٢٣٨].

- نلمح عند إليا فيرون نوعا آخر وهو؛ استهداف هدف (أ) وهدف (ب)[٢٥:٧]، بمعنى أن المتكلم يرسل خطابه إلى مخاطب (أ) ولكنه يتوجه بخطابه إليه وإلى مخاطب (ب).

ويدخل في هذا قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم/٣٠). قال القرطبي: "والخطاب بـــ(أقم وجهك) للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) .... ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل"[١٤:٢٦/٢٤]، وقال ابن منظور: "والمخاطَب النبي (صلى الله عليه وسلّم) والمراد هو والأمّة"[١٣:١/٥٥٥].

- ويشير بنيلوبي براون وستيفن لفنسن إلى إمكانية التبادل بين (نحن– أنت) بدمج (أنا) مع (أنت) في (نحن) وإن كان المحال عليه في الحقيقة هو المخاطَب (أنت) فقط. ويستشهد المؤلفان على ذلك بثلاثة أمثلة نذكر واحدا منها وهو خطاب الطبيب للمريض:

(حسنا الآن، هل نتناول دواءنا؟)[٢٧:٢٥١]، حيث يدخل هذا التبادل الإشاري ضمن واحدة من إستراتيجيات التأدب وهي الاستراتيجية السابعة (افترض الأرضية المشترَكَة/ زِدها/ أكّدْها)[٢٧: ٢٤٨].

٤. المخاطَب المضمَر:

يتداخل مصطلح (المخاطب المُضمَر) مع مصطلحات أخرى تسِم نوعا من أنواع المخاطَبين.

ولترسيم حدود مصطلح (المخاطب المضمر) المفاهيمية، سأتطرق إلى مفاهيم بعض المصطلحات التي تبدو مرادفة له لتمييزه عنها، كما يأتي:

١,٤. المخاطب الحقيقي: يحيل المخاطب الحقيقي إلى مصطلح (المخاطب غير الحقيقي)، ويُقصد بالأخير: المخاطب (الخيالي) (Fictionnel) غير الواقعي، كما يحصل في الحكايات والقصص الخياليّة. أو المخاطب الواقعي المتخيّل كأن يتخيّل المتكلم إنسانا حقيقيا يتحدّث معه، ويدخل هذا الصنف من المخاطَبين ضمن خطاب التخيّل (Fiction)[٢٤: ٣٣٦]، الذي تُدرجه أوركيوني في المجاز التخيّلي (Le trope –fictionnel)[١٤: ٢١٨].

مما سبق يظهر تعلّق المخاطب الحقيقي وغير الحقيقي بجنس المخاطَب لا بإضماره في توجّه المتكلّم، لهذا لا يمكن القول بترادف المصطلحين؛ (المخاطب الحقيقي) و(المخاطَب المضمَر)

٢,٤. المخاطب غير المباشر(Destinataire indirect): يُعد مصطلح(المخاطب غير المباشر) في تحليل الخطاب من المصطلحات ذات المفاهيم المُلبِسة، حيث يُستعمل في أكثر من مفهوم، ويتداخل مع غيره عند علماء محللي الخطاب بحيث يصعُب تحديد خصائصه التي تميّزه عن غيره عند محللي الخطاب.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومن دلالاته –كما مرّ في(٣.٢.٢)– المخاطبون الذين لا يعنيهم المتكلم بخطابه مقابل (المخاطب المباشر) الذي يعنيه المتكلم بخطابه، وهو رأي غوفمان. وبهذا المفهوم لا يكون مصطلح (المخاطب غير المباشر) مرادفا لمصطلح (المخاطب المضمر).

وتستعمل أوركيوني مصطلح (المخاطب غير المباشر) بمفاهيم غير واضحة؛

فهي تستعمله مرة للدلالة على المخاطب البعيد الذي يشمل كل القرّاء كما في الأعمال الأدبية، وفي مقابله المخاطب المباشر (Destinataire direct) الذي يعني المخاطب المواجَه بالحوار كما في اللقاء الصحفي، كما مرّ في (٦.٢.٢).

وتستعمله مرة أخرى للدلالة على (غير المخاطبِين) –كما مرّ في(٣.٢.٢)– الذي يحضرون العملية الحوارية من دون أن يعنيهم المتكلم في حواره وهو رأي غوفمان سابق الذكر.

وتستعمله مرة ثالثة للدلالة على ما أسميه بـــ(المخاطب المُضمَر)، كما مر في (١.٣.٣).

وأقترح، للتخلص من هذا اللبس المفهومي في مصطلح (المخاطب غير المباشر)، أن نحصره بدلالته الأولى عند أوركيوني وهو (المخاطب البعيد) الذي لا يواجهه المتكلم، تمييزا عن المخاطب المضمر.

٣,٤. مفهوم المخاطَب المضمَر: المقصود بالمخاطب المضمر: شخص أو مجموعة أشخاص يحضرون العملية التخاطبية ويمرر إليهم المتكلم توجهه الخطابي عبر الحديث عن نفسه أو عبر الحديث عن مخاطب ظاهر غير مقصود. أو أن يتكلم المتكلّم مع مخاطب ظاهر عن (هو صريح) ولكنّه في الحقيقة يقصد (هو آخر مُضمَر) كما مر في (٢,٢,٤,١).

فهو المخاطب المستهدَف، وهو مخاطب غير صريح يتوجه إليه المتكلم بطريقة ضمنية عن طريق الحديث مع مخاطب ظاهر آخر، وقد يكون هذا المخاطب الآخر والصريح بصيغة (أنا)، أو (أنت)، أو(نحن)، أو (هو)، وربما يكون الصّريح مستهدَفا في الحوار أو غير مستهدَف.

٥.إستراتيجيات المجاز التواصلي وأغراضه:

مما تقدّم أستطيع أن استنتج عدة إستراتيجيات يستعملها المتكلم في أثناء استهدافه مخاطبا غير المخاطب الذي يتحدث معه، حيث تتلاءم كل استراتيجية مع غايات المتكلم في توجهه. تلك الاستراتيجيات هي:

٥.١. الإستراتيجية التمريرية:

يتخذ المتكلم هذه الاستراتيجية في النماذج الآتية:

- يتكلم (ج) مع (أ) ولكنه يقصد (ب).
- أو أن يتكلم (ج) مع (أ) عن (هو صريح) ولكنه يقصد (هو آخر مضمر).
- (المخاطب الإضافي) بتعبير أوركيوني:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فليس حديث المتكلم مع المخاطب الظاهر سوى لغايات تمرير الرسالة عبره إلى المخاطَب المُضمَر، وكذلك حديث الممثلين في المسرحية غايته تمرير الرسالة من مؤلف النص المسرحي إلى الجمهور (المخاطَب الإضافي) عبر حوار الممثلين.

٢.٥. إستراتيجية المونولوج أو التناجي: يستعمل المتكلم هذه الاستراتيجية أثناء حديثه مع نفسه (المنولوج) أو (التناجي) ولكنه يتوجه بخطابه إلى مخاطب يسمعه. ويدخل في هذه الاستراتيجية النوع الثاني عند أوركيوني، وهو:

المتكلم يتكلم مع نفسه ولكنه يقصد مخاطَبا آخر يسمعه.

٣.٥.الاستراتيجية التمويهية(Stratégie de l'illusion allocutoire): ويمكن أن أسميها بالإستراتيجية الإيهامية، حيث يوهم المتكلم المخاطب (أ) بأنه متوجّه إليه بالخطاب، ويظن المخاطب (أ) أنه هو المخاطب الصريح ويبدأ بتأويل أو محاولة فهم رسالة المتكلم، في حين أن توجّه المتكلم الحقيقي بالرسالة إلى المخاطب (ب) الذي يعلم أن الرسالة موجّهة إليه فعلا وليس إلى المخاطب (أ) فيقوم المخاطب (ب) بعملية تأويل الرسالة وفهمهما بالكيفية التي يريدها المتكلم منه. ويدخل في هذه الاستراتيجية النوع الثالث عند أوركيوني.

٤.٥. الاستراتيجية التشاركية: يدخل في هذه الاستراتيجية النوع الذي أضافته إليا فيرون وهو؛

استهداف هدف (أ) وهدف (ب).

عندما يتحدث المتكلّم مع (أ) ولكنه يُشرِك معه بطريقة مضمرة المخاطب (ب) في توجّه الخطاب وتلقّي الملفوظ.

٥.٥. استراتيجية التأدب: وهي –كما مرّ في إضافة بنيلوبي براون وستيفن لفنسن– شاملة للنوع الأخير من أنواع المخاطب المضمر (نحن–أنت)، وأرى أنها استراتيجية تشمل أنواع المخاطب المضمر كلها ماعدا النوع الذي يدخل في الاستراتيجية التمويهية.

٦. خصائص المجاز التواصلي:

يتميّز المجاز التواصلي بعدّة خصائص هي:

١.٦. وجود طرف ثالث: تشترط العملية التواصلية وجود طرفين (متكلّم –مخاطَب)، وقد يوجد معهما شخص أو جمهور لكنهم غير فاعلين. أما المجاز التواصلي فيشترط طرفا ثالثا مستمِعا مقصودا من أحد الأنواع التي ذكرناها.

٢.٦. أن يكون الطرف الثالث هو المقصود أو مشارك بالتوجّه مع المخاطب الظاهر، ففي كثير من الأحيان يمكن أن يوجد شخص أو عدد من الأشخاص أثناء عملية التواصل الاعتيادية –بتعبير بنفنيست– (متكلم– مخاطب)، إلا أنهم غير مساهمين في عملية التخاطب. أما في المجاز التواصلي فيكون الطرف الثالث هو المستهدّف.

٣.٦. أن يكون الخطاب للطرف الثالث غير صريح بإحدى الاستراتيجيات التي مرّ ذكرها.

٤.٦. إمكانية إبطال التوجّه إلى الطرف الثالث: قد سبقت الإشارة إلى ذلك في قول نرجس باديس في (٢,١.٣): "قد تتكلم في حضرة شخص وأنت تتصور شخصا آخر، فإذا ردّ عليك الشخص الحاضر ستقول له: أنا لا أخاطبك

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أنت، أو بالعكس سيضطر كل شخص تخاطبه إلى أن يسأل قبل أن يردّ: هل تخاطبني أنا"[١٣٨:١٩]. وهو أمر التفت إليه علماء البلاغة العربية في أثناء حديثهم عن أغراض التعريض الذي يشمل عندهم إضمار قصد المحتوى والتوجّه أيضا، فخفاء الدلالة عندهم– "في التعريض –وهو قصد مقصود المتكلم– ينشئ شبهة تتقاصر معها جنايته، عن الحد الذي يوجب الحد، وانفصال الدلالة التعريضية عن اللفظ المعَرَّض به، مما يتيح للمعرِّض أن ينكر ما يدّعى عليه من تهمة القذف، فليس في عبارت ما يصلح دليلا به هذا الاتهام؛ ذلك أن دلالة التعريض دلالة فحوى، وليست دلالة منطوق، لا وضعا ولا تأويلا، ومن هنا كانت الشبهة الدارئة للحد"[٢٤:٢].

٧.نتائج البحث:

يمكن إيجاز نتائج البحث بالنقاط الآتية:

١.٧. المخاطب المضمر: هو المخاطب المستهدَف، وهو مخاطب غير صريح يتوجه إليه المتكلم بطريقة ضمنية عن طريق الحديث مع مخاطب ظاهر آخر، وقد يكون هذا المخاطب الآخر والصريح بصيغة (أنا)، أو (أنت)، أو (نحن)، أو (هو) وربما يكون مستهدَفا في الحوار أو غير مستهدَف.

وقد كشف البحث عن تمييز مصطلح (المخاطب المضمر عن المصطلحات التي تبدو مترادفة معه كالمخاطب الحقيقي والمخاطب غير المباشر.

٢.٧. ينتمي المخاطب المضمر إلى موضوع(المجاز التواصلي)، وهو مجاز يختلف عن المجاز القضوي والمجاز القصدي التداولي)، ويشمل المجاز التواصلي نمطين؛ أحدهما: متعلّق بالمتكلم المضمر والآخر: بالمخاطب المضمر.

٣.٧. يمكن تحديد قصد المتكلّم بنوعين: أحدهما: المعنى المقصود في نفس المتكلم، والآخر: الجهة أو التوجّه. وكلا المعنيين مأخوذان من الاستعمال العربي[٣٥٣/٣:١]. أما الأوّل فينضمّ في المجاز القضوي والتداولي. وأما الثاني فينضم المجاز فيه للمجاز التواصلي.

٤.٧. يمكن أن نستنتج –من النتيجة الثالثة– إمكانية ضم(المخاطب المضمر) ضمن(أسلوب التوجّه) ويختص بتوجّه المتكلم إلى المخاطب على نحو الحقيقة(التوجه الصريح) أو على نحو ضمني (التوجه المضمر) ويدخل في الأخير (المجاز التواصلي).

٥.٧. التفت القدماء إلى المخاطب المضمر ولكنهم أدرجوه ضمن موضوع التعريض الذي شمل عندهم (التعريض بالمعنى) و(التعريض بالتوجّه). وكان الأجدر بهم فصل الأخير عن الأول.

وعلى هذا يكون المعنى عندهم على ثلاثة أقسام: صريح، وضمني يُستدلّ عليه من مفهوم اللفظ وقرائن السياق، ومُعرّض مستتبَع بالقرائن المقامية واللفظية.

٦.٧. رجّح البحث اعتماد التوصّل إلى أسلوب التعريض عند القدماء عن طريق المفهوم وملازمة القرائن المقامية، وليس الاتكاء على المقام من دون اللفظ فقط كما هو عند الطيبي وبعض المعاصرين، بل إن للقرائن اللفظية أثرا في تقوية المعنى التعريضي، وقد استدل البحث على ذلك بجملة نماذج.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٧.٧.اعتنت نظريات التلفظ بالمجاز التواصلي أو المخاطب المضمر عناية بارزة دون النظريات الأخر في تحليل الخطاب.

٨.٧. كانت عناية كاترين أوركيوني بالمخاطب المضمر والمجاز التواصلي عناية فائقة فقد كشفت عن مفهومه وأنواعه، وقد أضاف باحثون غربيون آخرون عليها بعض الأنواع.

وقد كشف البحث عن اضطراب أوركيوني في تحديد مفهوم مصطلح (المخاطب غير المباشر) وترجيح بقاء دلالته على (المخاطب البعيد) وهو جنس من المخاطبين يشيع في تلقي النتاجات الأدبية.

٩.٧.رصَد البحث تناول المخاطب المضمر عند باحثَين عربيين هما محمد الشاوش ونرجس باديس، أثناء ردّهما على رأي بنفنيست الذي حصل التبادل بـــ(أنا– أنت) وأقصى من ذلك التبادل الضمير (هو). فكان أن اقترحت باديس تبادلا آخر مبني على (أنت– هو) باستدلالات وحجج فصلنا الحديث عنها في البحث.

وقد بيّنتُ طبيعية التبادل بين (أنت–هو)–إذا ما أردنا تحقق ظاهرة المخاطب المضمَر– من طرف (أنت–هو) أو من طرف (هو–أنت).

١٠.٧.شخّص البحث إستراتيجيات المجاز التواصلي وحصرها بأربع استراتيجيات هي: (التمريرية، والتناجي، والإيهامية، والتشاركية).

١١,٧.كشف البحث عن خصائص المجاز التواصلي وهي: (وجود طرف ثالث في التحاور، وأن يكون هو المستهدَف، وأن يكون الاستهداف غير صريح أي مُضمَر، وأن يكون قابلا لإبطال التوجّه).

٨.التوصيات:

يوصي البحث بـــ:

١.٨.دراسة المخاطب المضمر أو المجاز التواصلي في النصوص العربية القديمة.

٢.٨.الكشف عن المخاطب المضمر في الخطابات السياسية المعاصرة وطرائق التضليل والتمويه فيها.

٣.٨.رصد أساليب التعبير البيانية في المجاز التواصلي في العربية ولهجاتها واللغات الأخر من غير العربية. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، المثل العربي المشهور: إيّاك أعني واسمعي يا جارة. ومنه الاستعمال الشعبي العراقي: أحاجيج يا بنتي وأسمعج يا جنتي.

٤,٨. دراسة المخاطب المضمر في ضوء المجاز التواصلي في لسانيات التلفظ ورصد مظاهره في التراث العربي القديم.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

- القرآن الكريم.

[١] لسان العرب، أحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـــ)،الحواشي:لليازجي وجماعة من اللغويين،دار صادر،لبنان– بيروت،الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـــ.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢] التعريض في القرآن الكريم، د.إبراهيم محمد عبد الله الخولي،دار البصائر،مصر– القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨ هـ)،ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد،دار الريان للتراث بالقاهرة–دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧.

[٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان– بيروت، ١٤٢٠هـ.

[٥] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

[٦] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ)، تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

[٧] الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

[٨] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

[٩] مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت١٣٩٢هـ)، دار المعرفة، لبنان– بيروت.

[١٠] تحليل الخطاب، ج.ب.براون و ج.يول، ترجمة وتعليق: د.محمد لطفي الزليطي ود.منير التريكي، جامعة الملك سعود، السعودية– الرياض، ١٩٩٧.

[١١] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتين، الدار العربية للعلوم– ناشرون، بيروت– لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر–الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

[١٢] التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا–اللاذقية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

[١٣] معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو ودومنيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة:صلاح الدين الشريف،دار سيناترا،المركز الوطني للترجمة، سلسلة اللسان، تونس، ٢٠٠٨.

[١٤] المضمر، كاترين كيربرات– أوركيوني، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان– بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

[١٥] إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معرّبة بإشراف وتنسيق: د.عز الدين مجدوب، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس– قرطاج، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[١٦] المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي– فرنسي– عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب، سلسلة المعاجم الموحدة رقم: ١، المغرب– الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.

[١٧] النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

[١٨] التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون، الطاهر بومزبر، الدار العربية للعلوم–ناشرون، بيروت– لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر–الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

[١٩] المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، تونس–منوبة، ٢٠٠٩.

[٢٠] الوسيط والوسائطية تأطير لساني ودراسة إجرائية، حيدر غضبان، دار ركاز، عمان–الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢.

[٢١] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب–الدار البيضاء، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

[٢٢] أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، جامعة منوبة كلية الآداب–منوبة، والمؤسسة العربية للتوزيع– تونس، سلسلة لسانيات، المجلد ١٤، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

[٢٣] الذاتية في النظام اللغوي، نرجس باديس، الدار التونسية للكتاب، تونس–منوبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.

[٢٤] القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، ترجمة: د.منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب– الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

[25]Tropes communicationnels et tropes actantils, Laélia Véron, Tropes communicationnels et tropes actantiels. Dynamiques de la parole, Jun 2015, Paris, France. hal-03456424.

[٢٦] الجامع لأحكام القران، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر– القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤.

[٢٧] نظرية التأدّب بعض الكليات في استعمال اللغة، بنيلوبي براون وستيفن لفنسن، ترجمة وتقديم، هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار كنوز المعرفة، عمّان– الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq